Al-Mukhtar Journal of Social Science 42 (2): 282-297, 2024
Doi:

Research Article

Open Access

الربط بأداة الشرط في سورة يوسف (دراسة نحوية دلالية)

سميرة محمد إدريس بن عمور[1]*

الباحـــث الاول[1]*: قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

المســـتخلص: حظيت ظاهرة الربط حديثا باهتمام الباحثين، وفصّلوا القول فيها بناءً على اعتمادهم في دراسة اللغة على المنهج الوصفي، وخُصَّ بمباحث ودراسات مستقلة، ووجدوا فيها أهم مظهر لما عُرِفَ بـ(نحو النص)، وهو تعبيرٌ حديث يُطلق على ميدان من البحث غايته فهم أوجه الترابط النحوي، ويمتد تأثيره إلى ما وراء الجملة الواحدة إلى سلسلة طويلة أو قصيرة من الجمل، بغية توضيح الروابط التي تربط الجملة بالأخرى لتوفِّر للنص تماسكه الشكلي والمعنوي.

الكلمات المفتاحية: الربط، الأداة، الشرط، التعليق، يوسف.

***Corresponding author:** Samira Mohammed Idris Bin Amour, E-mail addresses: samera.benamour@omu.edu.ly Arabic Language, Faculty of Arts - Omar Al-Mukhtar University

Received:
05-11-2024

Accepted:
26-11-2024

Publish online:
31-12-2024

Linking with the conditional tool in Surat Yusuf, A grammatical and semantic study

Abstract: The phenomenon of linking has recently received the attention of researchers, and they have elaborated on it based on their reliance on the descriptive method in studying language, and it has been devoted to independent discussions and studies, and they found in it the most important aspect of what is known as (text grammar) It is a modern expression given to a field of research whose goal is to understand aspects of grammatical coherence, and its influence extends beyond the single sentence to a long or short series of sentences, in order to clarify the links that connect one sentence to another to provide the text with its formal and semantic coherence.

Keywords: Component, Formatting, Style, Styling, Insert.

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة:

الربط بمفهومه العام عبارة عن علاقة تقوم بين سابق ولاحق في السياق اللغوي بواسطة إحدى وسائل الربط التي تتحكم بهذه العلاقة، من هذه الوسائل (أسلوب الشرط)، وهو من الأساليب الشائعة في اللغة العربية، إذ يظهر فيه الارتباط الدلالي بشكل واضح على مستوى العلاقات العميقة الدلالية بالإضافة إلى التلازم بين المستويات السطحية الشرط وجوابه، "فقد يقع الشرط لمجرد الدلالة على اقتران أحدهما بالآخر"[1]، ويتم الربط عن طريق أدوات الشرط التي تُعدُّ ركنًا أساسيًا يقوم عليه التركيب الشرطي، بالإضافة إلى نوع آخر من الربط يُطلق عليه (الربط الذهني)، بمعنى أن الشرط يقتضي الجزاء فلا يتمُّ معنى إحدى الجملتين إلا بذكر الأخرى، فكل من الجملتين متعلقة بالأخرى فيما يُعرَف بـ(التعليق الشرطي).

يستهدف هذا البحث الربط بأداة الشرط في سورة يوسف (عليه السلام)، إحدى القصص القرآنية الرائعة التي تفردت بخصائص ميّزتها عن غيرها من السور، فقيل إنها استوفت شرائط القصة كما انتهت إليه دراسات النقاد، جمعت قصتها في سورة واحدة، امتازت بالإيجاز مع كثرة أحداثها، وبالترابط مع تعدد فصولها، بحيث يُسلِّم موقفٌ منها إلى موقفٍ وحدثٌ لحدثٍ.

هذه الخصائص أوجدت بين القصة بأحداثها وأشخاصها وبين تدبير القدر ربطٌ محكمٌ، "فهي ترتبط من أول مشهد لآخر مشهد"[32]، ووحدة أحداثها دفعتنا إلى البحث عن وسائل الربط والتماسك النصي التي يدعو إليها المحدثون، كما يهدف البحث إلى إيضاح أن الربط بين جملتي الشرط والجواب لا يخرج بحال عمّا يقدمه نحو النص الذي ينظر إلى الجملة من حيث وظيفتها النحوية، وموقعها الإعرابي في النص، وعلاقة الجملة بالجملة، فهو يعالج النص من خلال أدوات الربط الكامنة فيه، ودورها في تحقيق التماسك النصي، كما أنه لا يفصل بين المتكلم والمخاطب والنص، ولا يتجاوز نحو الجملة الذي يتناول أجزاء الجملة وكل ما يتعلق بها من العلامة الإعرابية، وما يُعرَف بالعُمد والفضلة، والتقديم والتأخير...

وتماسك النص من الناحية اللغوية يعدُّ من أهم المقومات النصية، والمعنى الذي نقصده من الربط بالأداة هو إحداث علاقة تركيبية بين أجزاء الكلام والأجزاء السابقة له، فمن خلال الربط يمكن إدراك المعاني الوظيفية النحوية وفهم العلاقة بين وحدات النص، فجاءت الدراسة مهيكلة على النحو الآتي:

تعريف الربط لغة واصطلاحا:

الربط لغة: رَبَطَ؛ الراء والباء والطاء أصلٌ واحدٌ، يدل على شدٍّ وثباتٍ، من ذلك ربطتُ الشيءَ أربِطُهُ ربْطًا، والذي يُشَدُّ به الرِّباطُ"[4].

جاء في لسان العرب: رَبَطَ الشيءَ يَرْبِطُهُ ويَرْبُطُهُ ربْطًا، وهو مربوط ورَبِيط: شَدَّه، والرِبَاط: ما رُبِطَ به، والجمع رُبُطٌ، ورَبَطَ الدَّابَةُ يربِطها ويربُطُها ربْطًا وارْتبطها، وفلانٌ يرتبط كذا رأسًا من الدواب، ودابةٌ ربيط: مربوطة "[5]، وغيرها من المعاني، غير أنها تكاد تنحصر في الشدة والقوة.

واصطلاحا: عرّفه الدكتور تمَّام حسّان بأنه: قرينة لفظية على اتصال أحد المترابطين بالآخر، والمعروف أن الربط ينبغي أن يتم بين الموصول وصلته، وبين المبتدأ وخبره، وبين الحال وصاحبه، وبين المنعوت ونعته، وبين القسم وجوابه وبين الشرط وجوابه.. الخ "[6].

فالعربية تلجأ إلى الربط بواسطة لفظية، لكي يتم الغرض من الكلام وهو الفهم والإفهام، لذا قيل في تعريف الربط: "اصطناع علاقة نحوية سياقية بين طرفين باستعمال أداة تدل على تلك العلاقة، وقد يكون الغرض من الربط أمن لَبْس فهم الارتباط بين الطرفين المربوطين، وقد يكون أمن لَبْس فهم الانفصال بينهما ..... فالربط هو العلاقة الوسطى بين الارتباط والانفصال "[7]، أي أنه علاقة تقوم بين طرفين متقدم ومتأخر في السياق اللغوي بواسطة إحدى وسائل الربط الملفوظة أو الملحوظة، وقضية الربط تُعدُّ من القضايا المهمة لأي لغة من اللغات، فلا يُمكن أن يكون النص نصًا من غير ربط، وتبدأ من إيجاد ترابط بين الكلمات داخل الجملة الواحدة، ثم ترابط الجمل داخل الفقرة الواحدة، وانتهاءً بالترابط بين الفقرات داخل النص، حتى يتشكل نص مترابط متماسك معنى ولفظًا، ويُعد الشرط من التراكيب النحوية التي يجب فيها الربط.

أما مفهوم الأداة لغة: بمعنى (الآلة الصغيرة)[8]، وفي الصحاح هي: "الآلة والجمع الأدوات، والاسم: الأداء .."[9] ، فالأداة كل ما يستعان به لإنجاز غرض من الأغراض[10].

و**اصطلاحا:** الأداة: "مبنى تقسيمي يؤدي معنى التعليق، والعلاقة التي تعبر عنها الأداة إنما تكون بالضرورة بين الأجزاء المختلفة من الجملة"[11]، وقيل هي: "كلمة تقع بين أجزاء الكلام وقبلها، كأدوات الشرط والاستفهام والتمني ونواصب المضارع وجوازمه، وحروف الجر وحروف العطف"[12]، فهي تؤدي معنى وظيفي ولا تأثير لها خارج السياق، وأهم معنى وظيفي تؤديه داخل السياق هو الربط، بل هو أهم طرائق الربط وأكثرها استخداما في اللغة العربية، وقد بيّن الدكتور تمّام حسّان أن: "التعليق بالأداة أشهر أنواع التعليق في اللغة العربية الفصحى"[13]، ومن الأدوات أداة الشرط.

و**الشرط لغة:** "إلزام الشيء والتزامه في البيع، والجمع شروط .... وأشراط الساعة: علاماتها، ومنه الاشتراط الذي يشترط الناس بعضهم على بعض، أي هي علامات يجعلونها بينهم "[14]، وعند ابن يعيش: "الشرط: العلامة والأمارة فكأن الشرط علامة لوجود جوابه"[15] .

ويقع هذا التعريف على **الاصطلاح** النحوي للشرط فقد عرّفه المبرد بقوله: "هو وقوع الشيء لوقوع غيره"[16]، وعرّفه الفاكهي بقوله: "هو تعليق حصول مضمون جملة هي جملة جواب الشرط، بحصول مضمون جملة أخرى هي جملة الشرط"[17]، فهو يستوجب وجود جملتين مستقلتين، الأولى جملة الشرط، والثانية جملة الجواب، ويتم الربط بواسطة (أدوات الشرط) وهي: "كلمات وُضِعت لتدل على التعليق بين جملتين، والحكم بسببية أولاهما ومسببية الثانية"[18]، لأنك في جملة الشرط "إذا اقتصرت على واحدة أخللْتَ بالإفصاح عمّا يجولُ في ذهنك، وقصرت عن نقل ما يجول فيه إلى ذهن السامع"[19]، لأن الجملتين ترتبطان بواسطة أداة الشرط ارتباطا وثيقًا، وتُعَدُّ الأداة ركنًا أساسيًا يقوم عليه التركيب الشرطي، سواء أكانت جازمة أم كانت غير جازمة، وأهم هذه الأدوات: إن، مَن، ما، مهما، إذا، لو، لولا، متى، أيّ، أين، لمّا، قال عنها ابن يعيش: "وتدخل على جملتين، فتربط إحداهما بالأخرى، وتصيِّرهما كالجملة"[20]، لأنها تعمل على تعالق الجملتين، فالجملتان الشرطيتان تكوّنان جملة واحدة، لأن مضمون الأولى يتعلق بمضمون الثانية، ويترتب عليه – بسبب الربط بينهما بأداة الشرط – عندئذ "تغيير النسبة التامة لجملتيها، بحيث أفقدتهما استقلالهما، وما يترتب على تماميتهما من صحة السكوت، وصيرت كلا منهما طرفًا لنسبة تعليقية جديدة"[21]، فبتعالق الجملتين يصير وجود الشرط علامة لوجود جوابه وسببًا لوقوعه، ولا يفيد الأول دلالة دون الثاني، والارتباط الدلالي واضح على مستوى العلاقات العميقة بالإضافة إلى التلازم بين المستويات السطحية الشرط وجوابه، ويصبح التركيب الشرطي في النهاية تركيبًا واحدًا، فيعمل هذا التعالق

على توسيع النص، ويضفي عليه سمة الاستمرارية، إذ يمتد أثره خارج البنية الشرطية _ إن صح هذا التعبير– ويتم الربط بين الفقرات المتباعدة داخل النص، فيبدو الكلام متماسكًا لفظا ومعنى، ويتحقق من خلال هذا التماسك حصول الإفادة لدى المتلقي.

والمتتبع لسورة يوسف عليه السلام يلاحظ أنه تم توظيف الشرط كسمة من سمات النص القرآني، إذ خلق الشرط نوعًا من الامتداد الدلالي، وأظهر بلاغة وقدرة على التنويع في أداء المعاني، وقد تمَّ توظيفه أكثر من ثلاثين مرَّة مقسمة على النحو التالي:

الأداة	لمَّا	إنْ	لو	ما	مَنْ	أمَّا	حتى إذا
العدد	19	10	2	1	2	2	1

الأداة لمّا:

كانت (لمّا) أكثر الأدوات ورودًا، وثمة أسباب تكمن وراء الإكثار من توظيف أدوات الشرط بصفة عامة والأداة (لمّا) خاصة، فهي حينية ظرفية مرتبطة بالزمن فلا تدخل إلا على الماضي، لأنها تسرد أحداثًا وقعت في الزمن الماضي الذي يفيد التحقق والثبوت، وتعليقية لأن معنى الشرط لا يفارقها أبدًا، ورابطة لأن أدوات الشرط تسهم في ربط أجزاء الجمل والنصوص؛ تحقيقًا للاتساق والانسجام، ووظيفة الأداة في الربط ناشئة من إيجازها للمعنى النحوي.

وقيل في (لمّا) أنها حرف وجود لوجود، أو وجوب لوجوب، وقيل اسم بمعنى (حين)، وفيها معنى الشرط لا يفارقها أبدا، وتختص بالماضي لفظًا ومعنى أو معنى فقط، غير جازمة وتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود الأولى، وتكون بعدها جملتان موجبتان أو منفيتان، ويكون جوابها فعلا ماضيًا اتفاقًا وجملة اسمية مقرونة بـ(إذا) الفجائية أو بالفاء عند ابن مالك، وفعلا مضارعًا عند ابن عصفور[22].

وإذا تتبعنا الآيات التي وردت فيها الأداة (لمّا) في سورة يوسف، نجدها تتوالى على النحو التالي في قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [آية 15]، وقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [آية 22]، وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [آية 28]، وقوله: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [آية31]، وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[آية 50]، وقوله: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾[آية 54]، وقوله: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾[آية 59]، وقوله: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [آية 63]، وقوله: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [آية 65]، وقوله: ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[آية 66]، وقوله ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي

عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [آية 68]، وقوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [آية 69]، وقوله: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [آية 70]، وقوله: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [آية 80]، وقوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [آية 88]، وقوله: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [آية 94]، وقوله: ﴿فَلَمَا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آية 96]، وأخيرًا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [آية 99].

فنجد أنَّ: تصور التعليق الشرطي في الآيات السابقة ناشئ عن اتحاد أداة الشرط وجملة فعل الشرط، وجملة جواب الشرط، وهو اتحاد يكوِّن نصًا متكاملا، يقول ابن السراج: "ولابد للشرط من جواب وإلا لم يتم الكلام، وهو نظير المبتدأ الذي لابد له من خبر"[23]، كما أن الشرط يحدث تدرُّجًا منطقيًا للأحداث، وهو انتقال من فكرة إلى أخرى، ففي كل جملة شرطية تكون إحداهما نتيجة حتمية للأخرى، وتكون السببية هي الرابطة بينهما، وعن طريق الوصل الزمني والوصل المكاني، الذي أسهم في الربط بعامل الزمن والربط بين الأحداث في إطار مكان محدد، والعنصر الرابط بين مكونات أسلوب الشرط كليا هو التصور الذهني للعلاقة الرابطة بين فعل الشرط وجواب الشرط .

وقد وردت (لمّا) في عدة آيات مباركة من سورة يوسف على الأنماط التالية:

(الشرط) فعل ماض مبني للمعلوم ⟵ (الجواب) فعل ماض مبني للمعلوم، في قوله:

- فلمّا ذَهَبُوا ــ الجواب محذوف تقديره (فعلوا) على رأي البصريين.
- ولما بَلَغَ ـــ آتَيْناهُ
- فلما رأى ـــ قال
- فلما سَمِعتْ ـــ أرسلتْ
- فلما رأيْنَهُ ـــ أكْبَرْنَهُ
- فلما جاءه ـــ قَالَ
- فلما كلَّمَهُ ـــ قالَ
- ولما جَهَّزَهم ـــ قَالَ
- فلما رَجَعُوا ـــ قالُوا
- ولما فَتَحُوا ـــ وجَدُوا
- فلما آتَوه ـــ قالَ
- ولمّا دخلوا ــ قيل الجواب محذوف تقديره (امتثلوا) أو(قضوا حاجة أبيهم ونحوه).
- ولما دخلوا ــ آوى
- فلما جَهَّزَهم ــ جَعَلَ

- فلما اسْتَيْأسُوا ــ خَلَصُوا
- فلما دَخَلُوا ــ قَالُوا
- ولما فَصَلَتْ ــ قَالَ
- فلمّا أن جاء ــ ألقاهُ
- فلما دخلوا ــ آوى

فكانت (لمّا) رابطة حينية متضمنة معنى الشرط واختصت بالدخول على الماضي لفظا ومعنى، لأن الآيات تسرد أحداثًا وقعت في الزمن الماضي كما قلنا، ودلت على وقوع حدثين يتم الأول في اللحظة التي يبدأ فيها الثاني:

لمّا بلغ ..... آتيناه

لما رأى .....قال.....إلخ

وكانت جملتاها موجبتين، فكل جملتين شرطيتين تشكلان جملة واحدة وتعبران عن فكرة واحدة، بحيث لا يمكن الاقتصار على واحدة منهما؛ بفعل تصوّر ظاهرة التعليق الشرطي، لذا كان المعنى الموجود في جملة الجواب مرتبط تمام الارتباط بالمعنى المتمثل في جملة الشرط، وقد عدّها سيبويه "بمنزلة لو في أنها تقع للأمر الذي وقع لوقوع غيره"[24]، وكان لتكرار الأداة (لمّا) أثر كبير في ربط الأحداث وتسلسلها، بها أحكمت بنية النص وتماسكت بطريقة تثير الانتباه وتستجلب الإصغاء، فأسلوب الشرط له وظيفة مؤثرة في الكلام، إذ به تأتي التراكيب موجزة مختصرة، ويصل المعنى إلى المتلقي بالطريق الأقرب، كما تجد في الشرط تدرُّجًا وانتقالا من فكرة إلى أخرى بسهولة دون تعقيد.

كما ارتبطت الجملة الشرطية في السورة الكريمة بمكونات أخرى كالعطف كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾، فكان نمط الآية على النحو التالي:

لما سمعت جاء الجواب ــ أرسلتْ ... وأعتدتْ... وآتتْ .... وقالتْ

فلمَّا رأينه ــــــــــ أكبرنه ... وقطَّعن .... وقلنَ

فدلَّ حرف العطف على التوسع الشرطي من خلال العطف على جملة الجواب كما دلت على تعاقب الأزمنة.

وقوله: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ، وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ...﴾، فأفاد العطف التوسع الدلالي على النحو التالي:

لمّا دخلوا ــ آوى ... وقال..... ورفع .... وخرّوا .... وقال

وكان عبد القاهر الجرجاني يجعل من الشرط وجوابه وما عُطِفَ عليهما جملة واحدة، فالإيواء والقول والرفع والخرُّ والقول أيضًا، كلها أحداث ترتبت على دخول أهل يوسف (عليه السلام) عليه، فجعل هذه الجمل المتعددة بمنزلة الجملة الواحدة. وهذا الاقتران الشرطي الذي يتضمن الربط بين جملتي الشرط والجواب يدخل ضمن دائرة الترابط النصي، كما أنه ليس بمعزل عن السياق العام للآيات الكريمة، فقد تناوبت الواو والفاء في ربط التركيب الشرطي بالبنية النصية للآيات وإذا نظرنا إلى هذين الحرفين نجد من المعربين من يجعلها عاطفة ومنهم من يجعلها للاستئناف، وهما في كلا الحالين أسهما في التماسك والترابط، لأن الواو مع تعدُّد دلالاتها لا تخرج عن الربط، فإنها إن كانت عاطفة "فمن حق الجمل إذا ترادفت وتكرر بعضها في إثر بعض، فلابد فيها من ربط الواو لتكون متسقة منتظمة"[25]، وإن كانت هذه الأحرف للاستئناف –

كما أشار بعض المعربين– فحرف الاستئناف يربط بين جملتين لكي يحقق التماسك بين الجمل، على الرغم من كون هذه الجمل منقطعة تركيبيًا عن سابقتها، ولكنها متصلة بها نوعًا من الاتصال، تعطي للكلام معنى وتشكل نصًا، "وقد توهّم بعض المعاصرين أن الجمل التي لا محل لها من الإعراب في اصطلاح النحاة تخرج عن نسيج النص لإمكان الاستغناء عنها، واستندوا في ذلك إلى قول النحاة فيها أنها لا محل لها، وهذا الرأي فيه نظر، فالجمل التي حملت هذا التوصيف النحوي وظفت لمعانٍ في النص منها التوضيح والتخصيص والتفسير والتأكيد وقد تأتي لمعان بلاغية كالدعاء والمدح والذم.. وغير ذلك"[26]، يقول المرادي عن (واو) الاستئناف: "والظاهر أنها الواو التي تعطف الجمل التي لا محل لها من الإعراب لمجرد الربط "[27]، وكذا قال عن الفاء، وهو ما ذهب إليه ابن هشام عند حديثه عن الاستئناف؛ لأن المعتمد عنده بالعطف الجملة لا الفعل[28].

أما قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ البَشِيرُ أَلْقَاهُ على وجْهِهِ﴾، فأعربت (أن) على أنها زائدة، ولا معنى لها غير التوكيد كسائر الزوائد عند ابن هشام[29]، ونُقِل عن ابن الأثير أنَّ المفسرين اختلفوا في مدة إلقاء إخوة يوسف في الجب، إلى أن جاء البشير إلى أبيه، وهو يرى أنَّ المدة بعيدة، والأمد متطاول؛ بدليل وجود أنْ بعد لما، وقبل الفعل[30].

وقد ردَّ الصفدي على ابن الأثير بأنه لا تراخي بين هذين البعيدين، ولا مدة مديدة، لأن المدة إنما كانت بقدر المسافة التي توجّه فيها البشير من مصرإلى أن وصل إلى مقام يعقوب عليه السلام في أرض كنعان، وقدّر المسافة باثني عشر يوما، ولهذا قال النحاة إن (أن) هنا زائدة، وقد بنى الصفدي تقدير المسافة على أنَّ الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ البَشِيرُ﴾، جاءت عقيب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾، أو وردت عقيب قوله تعالى: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هذا فَأَلْقُوهُ عَلى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ، وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ، قالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ، فَلَمَّا أَنْ جَاءَ البَشِيرُ أَلْقَاهُ على وجْهِهِ﴾[31]، ولا يخفى ما في هذه العبارة من دور لـ(لمّا) في ربط بنية النص وتماسكها ودورها في تدرج الأحداث مع سلسلة طويلة من الجمل، بحيث كونت نصًا مترابطًا، ووفرت له تماسكه الشكلي والمعنوي، مع فاء الاستئناف التي أضافت له إحكاما واتصالا قويًّا، وانتقالا إلى مفاهيم أخرى، أعطت للنص معنى جديدًا.

الأداة إنْ[32]:

تأتي بعد (لمّا) في الاستخدام في الآيات الكريمة، فقد ورد ذكرها في عشرة مواضع، و(إن) هي أمُّ الكلمات الشرطية، وعدَّها سيبويه أمّ الجزاء وهي مبهمة في الاستعمال، إذ لا تُستعمل إلا في المشكوك في حصوله والنادر والمستحيل لذلك اختصت بالأفعال المستقبلة، وهي لتعليق أمر بغيره عموما، وقد جاء ذكرها في الآيات الكريمة على النحو التالي:

في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الآية 10]، وقوله: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [الآية 12]، وقوله: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الآية 26]، وقوله: ﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية 27]، وقوله: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الآية 3]، وقوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الآية 33]، وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [الآية43]، وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ [الآية 60]، وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ [الآية 74]، وقوله: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 77]، وقوله: ﴿ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [آية 99].

فاستعملت (إن) في المشكوك في حصوله، كما في جملة الشرط في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾، ودلالة الشرط بـ(إن): "التثبيط لهمهم عما هم عازمون عليه؛ ووضع المتحدثُ المخاطبَ في مقام المتردد مع أنهم عازمون على ذلك، لإظهار أنه جادٌ في النصيحة، ليصرفهم عن الشك بأمره أو الظن أنه مُريد لثنيهم عن مقصودهم الحقيقي في إرادة قتله ..."[33] ، فكأنه يدعوهم إلى التريث لعلهم يرجعون عم هم عازمون عليه.

وحُذف جواب الشرط لدلالة ما قبله عليه، أي إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به الغرض فهذا هو الرأي الصواب، "لأن المتكلم يميل إلى إسقاط بعض العناصر من الكلام اعتمادًا على فهم المخاطب وإدراكه للعناصر المحذوفة تارة، ووضوح قرائن السياق تارة أخرى"[34]، ومثله في قوله :﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾، أي إن كنتم فافتوني ومثله قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾، أي فما جزاء سرقة الصواع أو السارق، وقوله تعالى: ﴿ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾، أي إن شاء الله دخلتم آمنين، واُعتُبِر الحذف أحد الأدوات المهمة في سبك النص وترابط أجزائه، كما اعتبر ابن عاشور (إن) "في مثل هذه الحالات مجردة عن معنى الشرط، ولقّبت بالوصلية أي أنها لمجرد الوصل والربط في مقام التأكيد"[35] كذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، أي: لو حدث ما حدث ونحن جماعة قوية إنا عند ذلك لخاسرون أي هالكون، وفيه تشكيك أن يحدث هذا الأمر وهم أرادوا أن يستكين والدهم وألّا يخاف على يوسف، وكانت دلالة الأفعال كلها مستقبلية، يقول ابن كمال باشا: "وضعت (إن) لتعلق الشرط والجزاء بالزمان المستقبل، سواء دخلت على المضارع أو على لفظ الماضي؛ لأن (إن) تجعل معنى الفعل للاستقبال.... ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ﴾، يكن سببًا للإخبار بأنها صدقت"[36]، وقوله (إن كنتم ...) تكرر الفعل ثلاث مرات، وقوله (إن كان...) تكرر مرتين، فـ(كان) وإن تجردت من (إن) تفيد المستقبل بقرينة عقلية، حملا على مثيلاتها من الأفعال الماضية، فلما دخلت (إن) كان لزامًا أن تكون دلالتها مستقبلية، وإن كان ابن عاشور يرى أنَّ أدوات الشرط في هذه الحالة لا تدل على أكثر من الربط من دون تقييد باستقبال ولا مضي، ويلاحظ أن الترابط حصل عن طريق دخول (إن) مع مدخوليها معا حتى صيرتهما تركيبا واحدً، فمعنى قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾؛ إن كان ذلك حصل في الماضي، فقد حصل صدقها في الماضي، واُستُعين بالفاء لتأكيد هذا الترابط وفق معانٍ وضعها النحاة حين يمتنع في الجواب أن يكون جوابًا للشرط، يقول الجرجاني: "الفاء جاءت لتربط جملة ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها"[37]، فاقترن الجواب بالفاء الرابطة ودلّت على تعالق الشرط والجواب وصيّرتهما تركيبًا واحدًا، وهنا "لابد من تقدير (قد) ليصح دخول الفاء الرابطة، وإلا فلا يصح دخولها لأنه فعل ماضٍ متصرف"[38]، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، وهو معطوف على الآية السابقة، أما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾ فإنّ الجواب ماضٍ لفظًا ومعنى مقرونًا بقد ظاهرة، وحُمِلَ على أنه متعلق بفعل مستقبل هو الشرط في الحقيقة: أي إن تبين سرقته فقد تبين سرقة أخيه من قبل، لأن الفعل الخالي من (قد) موغل في المضي، وقد حرف تحقيق فالفعل بعدها محقق الوقوع كما أن "اقتران الفعل بقد يجعل الجملة الفعلية شبيهة بالجملة الاسمية صالحة لتقع موقعها، لذلك اشترطوا اقتران الفعل بالفاء حين يكون جواب الشرط جملة فعلية مسبوقة بقد"[39].

أما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾، فإنَّ أداة الشرط دخلت على (لم)، وأبطلت تأثيرها في قلب زمن الفعل للماضي، وصار التأثير في زمنه مقصورا على (إن) وحدها في كونه متجردًا للزمن المستقبل

المحض، كما تقتصر (لم) على نفي معنى الفعل دون جزمه[40]، ودخلت (لم) كذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

أما في قوله: ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾، فإنَّ الشرط تضام مع القسم، وسدَّ القسم وجوابه مسد جوابها، ويُعدُّ أسلوب القسم من التراكيب التي يتعلق فيها مجموع جملتين بالآخر كما يحدث في أسلوب الشرط، فاجتماعهما لا شك له أثرٌ جلي في تماسك النص وانسجامه، بالإضافة إلى اعتباره صورة من صور التوكيد.

وقد تقترن (إن) بـ(لا) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، فيُظن أنها استثنائية، وهي (إن) الجازمة لم يبطل عملها بلا، لأن (لا) صارت كجزء من الفعل، وهي غير عاملة في النفي، وتنفي ما في المستقبل، وليس كذلك (ما) التي تنفي ما في الحال، لذلك لم يجز أن تدخل (إن) عليها[41].

وحُذِف الفعل وجِيء بالجواب في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي﴾ وكانت الفاء هي الرابطة لجواب شرط مقدر أي: إن كنتن قد لمتنني فيه فذلك الذي لمتنني فيه، وتسمى الفاء الفصيحة لأنها تفصح عن شرط محذوف وهي نفسها العاطفة أو الرابطة لجواب الشرط، وما مصطلح الفصيحة إلا معنى من معانيه.

الأداة لو[42]:

لـ(لو) في الكلام أربعة مواضع:

- حرف امتناع لامتناع إذا دخلت على جملتين موجبتين، وحرف وجوب لوجوب إذا وليها جملتين منفيتين، ويحذف جوابها للعلم به، كما أن معنى الشرط لا يفارقها، وتخلص الفعل أبدًا إلى الماضي بخلاف أدوات الشرط، وإن كان ما بعدها مضارعًا.
- أن تكون حرف شرط بمنزلة (إن) إلا أنها لا يُجزم بها، ولا يكون جوابها إلا محذوفًا غالبا لدلالة الكلام عليه.
- أن تكون تمنيًا بمنزلة ليت في المعنى لا في اللفظ والعمل.
- أن تكون حرف تقليل بمنزلة رب في المعنى أيضًا.

والمتتبع لسورة يوسف عليه السلام يجد أن هذه الأداة لم ترد إلا في موضعين الأول في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [آية 17]، فهي حرف شرط غير جازم تفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط عند أكثر النحاة، قال عنها سيبويه: " هي حرف لما كان سيقع لوقوع غيره"[43]، بمعنى أنها تقتضي فعلا ماضيا كان يُتوقع ثبوته لثبوت غيره، وقيل حرفٌ يدل على امتناع تالٍ يلزم لثبوته ثبوت تاليه، وهي تأتي شرطًا لفعل ماضٍ فيُصرف المضارع إليه، بخلاف (إن) التي تصرف الماضي إلى الاستقبال، ويرى ابن عاشور أن جوابها محذوف ولا يلزم تقديره، لأن ذلك تقدير لمجرد التنبيه على جعل الواو للحال، وسمّاها الوصلية، والشرط معها ليس للتقييد[44]، في حين أنكر آخرون أن تكون حرف شرط، لأن الشرط في الاستقبال، ولو للتعليق في الماضي، فهي لمجرد الربط والوصل في مقام التأكيد[45]، وعلى كلٍّ فمعنى الربط لا يُفارقها مع الشرط وبدونه، فهي تُعيدنا إلى خشية يعقوب على ابنه ووعد أبنائه بأن يكونوا له حافظين وضامنين ألَّا يأكله الذئب وهم عصبة، فالربط بالأداة (لو) تجاوز الربط بين جملتين متعاقبتين؛ إلى القدرة على ارتباط النص، يقول محي الدين درويش: "ولو شرطية، وهي في هذا الموضع لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب، أو المنفي على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال، بإدخالها على أبعدها منه، وأشدها

منافاة له ليظهر بثبوته، أو انتفائه معه ثبوته، أو انتفاؤه مع غيره من الأحوال بطريق الأولوية، ولا يذكر معه شيء من سائر الأحوال"[46].

والموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [آية 103]، وتُعد هذه الآية الكريمة انتقال من "سَوق القصة إلى العبرة بتصميم المشركين على التكذيب بعد هذه الدلائل البيِّنة"[47]، فهي تقرر أنَّ أكثر الناس لا يؤمنون ولو حرِص النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، في إشارة إلى اليهود الذين استمعوا لشرح وافٍ لقصة يوسف منه صلى الله عليه وسلم، وكان يأمل إسلامهم، ولكنهم خيّبُوا ظنه.

وجاءت جملة (لو) الشرطية الوصلية بعد حذف جوابها- للدلالة عليه – معترضة بين ما واسمها وخبرها، و"هذا الاعتراض جارٍ مجرى التوكيد، وفائدته من وجهين: أولاهما: تصوير حرصه صلى الله عليه وسلم على إيمانهم وهدايتهم، وثاني الوجهين: تصوير لجاجتهم وجحود عقليتهم، وإصرارهم على الغي وعنادهم ومكابرتهم"[48]، فتجاوزت (لو) أيضا الربط بين الجملتين ودخلت في دائرة الترابط الشرطي.

الأداة مَنْ:

اسم شرط جازم يجزم فعلين، وُضِعت للدلالة على العاقل، وجاء استعمالها في موضعين ،أولا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنَّ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آية 90]، ربطت بين جملتين وعملت عمل (إن)، وأدت معناها الوظيفي الذي هو تعليق الجواب على فعل الشرط، والارتباط السببي بين الشرط والجزاء هو عدم ضياع أجر المحسنين، وأنه متوقفٌ على التقوى والصبر، وربط الجواب أيضا بالفاء لوقوعه جملة اسمية لا تصلح لأن تكون جوابا، واستعمال (مَنْ) في الشرط بدلا عن (إن) لما فيها من الاختصار والتقريب والاستعاضة بها عن ذكر الأسماء والأعيان، فكانت اسما عاما يشمل كل إنسان، فتحيل إلى يوسف وأخيه، وإلى كل من يتقى الله ويصبر، وتدخل في دائرة الترابط النصي.

ومثله في الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿فَجَزَاؤُه مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ [آية 75]، غير أن (مَنْ)، تصلح لأن تكون شرطية، و(وُجِدَ) فعل الشرط، وجملة (فهو جزاؤه) جواب الشرط، وربطت الجملة بالفاء، أو تكون (مَنْ) موصولة، والعموم في (مَنْ) يشير إلى إخوة يوسف.

الأداة لولا:

هي أداة شرط غير جازمة "تدخل على جملتين اسمية ففعلية،؛ لربط امتناع الثانية بوجود الأولى، نحو: " لولا زيدٌ لأكرمتك" أي لولا زيد موجود"[49]، ويرتبط جوابها باللام ودلالتها "تأكيد ارتباط الجملة الثانية بالأولى، وتدخل على الماضي دون المستقبل، وقد تحذف اللام"[50]، كما يُحذف الجواب إذا دلَّ عليه دليل، وقد وردت (لولا) في سورة يوسف عليه السلام في موضعين، الأول: في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [آية 24]، وقد أجاز الكوفيون والمبرد وأبو زيد الأنصاري تقديم جواب الشرط، وعلى هذا يكون جواب (لولا) قوله تعالى: (وهمَّ بها) المقدَّم على الأداة، ويكون التقدير: لولا أن رأى برهان ربِّه لهمَّ بها، ويرى أبو حيّان أن يوسف لم يهمَّ: يقول: "والذي اختاره أن يوسف عليه السلام لم يقع منه هم بها البتة، بل هو منفي لوجود رؤية البرهان، و لا نقول إن جواب (لولا) متقدم عليها، وإن كان لا يقوم دليل على امتناع ذلك، بل نقول: إنَّ جواب (لولا) محذوف لدلالة ما قبله عليه، لأن ما قبل الشرط دليل عليه"[51]، فالترابط الدلالي واضح على مستوى العلاقات العميقة الدلالية، بالإضافة إلى التلازم بين المستويات السطحية الشرط وجوابه التي تجعل منه تركيبًا واحدًا، يعمل على توسيع النص، وثمَّ تماسكه وارتباط أجزائه.

ومثله في الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [آية 94]، حذف جواب لولا أيضا لدلالة ما قبله عليه، والتقدير: لولا تفنيدكم[52] إياي لصدقتموني.

الأداة أمَّا:

حرف شرط وتفصيل وتوكيد[53]، ويقول ابن كمال باشا: "اعلم أنَّ (أمَّا) وُضِعت لمعنيين: أحدهما: تفصيل مجمل، والآخر: استلزام شيء لشيء، وهذا معنى الشرط، وذلك المعنى لازمٌ لها في جميع مواقعها، بخلاف معنى التفصيل، فإنها قد تتجرد عن معنى التفصيل، وقال بعضهم: لا تتجرد عن معنى التفصيل أيضًا، فالتزموا ذكر المتعدد بعدها"[54]، ويُؤوَّل (أمَّا) بـ(مهما يكن من شيء)، لأنه قائم مقام أداة الشرط وفعل الشرط، لذلك يُجاب بالفاء، ومذهب سيبويه أن الجواب في ذلك لـ(أمَّا) لا للشرط، وحُذِف جواب الشرط لدلالة جواب (أمَّا) عليه، وذهب الفارسي في أحد قوليه إلى أنّ الجواب للشرط، وجواب (أمَّا) محذوف، وذهب الأخفش إلى أنَّ الفاء وما بعدها جواب لـ(أمَّا) وللشرط.

وقد ورد ذكرها في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ﴾ [آية 41]، ويُعرب ما بعدها مبتدأ، والجملة المربوطة بالفاء خبر، وكُرِّرت (أمَّا)، وهذا التكرار غير لازم خلافا لبعضهم، فهي أداة رابطة وأداة تفصيل تفيد معنى الشرط والتوكيد معًا.

الأداة ما:

أداة شرط جازمة، وهي نوعان غير زمانية كقوله تعالى: ﴿تَفْعَلُوامِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة 197]، وزمانية أثبت ذلك الفارسي وأبو البقاء وجماعة وجعلوا منه قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُم﴾، وقد وردت في السورة الكريمة في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ﴾ [آية 47]، "وأجازوا في (ما) أن تكون شرطية، وأن تكون موصولة، والفاء في (فذروه) واقعة في جواب الشرط، أو في الموصول لما فيه من رائحة الشرط"[55]، وهذا الاقتران الشرطي تضمّن ترابُطًا بين جملتين، كما أنَّ وجود الفاء أيضًا أسهم في هذا الترابُط، وكان التَّدرُّج والانتقال من فكرة إلى أخرى نتيجة وسببًا عن الفكرة الأولى؛ مما يخلق ما يُسمَى بالوصل السببي.

الأداة إذا:

ظرف لما يُستقبل من الزمان متضمنة معنى الشرط، لذلك تُجاب بما تُجاب به أدوات الشرط، ولا يليها إلا الفعل ظاهرًا أو مقدرًا، وكثُر مجيء الماضي بعدها مرادًا به الاستقبال، ومع تضمنها معنى الشرط لم يُجزم بها لمخالفتها (إن) الشرطية، فهي تستعمل لما تُيُقّن وجوده أو رُجِّح، بخلاف (إن) التي تُستعمل للمشكوك فيه[56]، وجاء استعمالها في سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ ﴾ [آية 62]، وجواب الشرط محذوف، أي: فلعلهم يرجعون، والشرط دلَّ على تحقُّق الوقوع في زمنٍ موقوت.

واستعملت كذلك مسبوقة بـ(حتى) في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [آية 110]، فأخرجوها عن الظرفية وفيها وجهان:

أحدهما: أن تكون مجرورة بـ(حتى) واختاره ابن مالك.

والثاني: أن تكون (حتى) ابتدائية، وإذا في موضع نصب على ما استقر لها، وبه جزم أبو البقاء، وجوّز الزمخشري الوجهين، ويؤيد أنها بعد (حتى) شرطية في موضع نصب اتفاق النحويين على طلب جوابها[57]، فحصل بها الترابط بين مدخوليها حتى صيّرتهما تركيبًا واحدًا.

الخاتمة:

تمَّ توظيف الشرط كسمة من سمات النص القرآني في سورة يوسف (عليه السلام)، وخلق نوعًا من الامتداد الدلالي، وكانت الأداة (لمَّا) أكثر الأدوات ورودًا؛ فكان لها الأثر الكبير في ربط الأحداث وتسلسلها، وإحكام بنية النص وتماسكها بطريقة تثير الانتباه، واختصت بالدخول على الفعل الماضي لفظًا ومعنى؛ لأنها تسرد أحداثًا وقعت في الزمن الماضي، كما تناوبت معها الواو والفاء في ربط التركيب الشرطي بالبنية النصية للآيات الكريمة.

وجاءت (إنْ) بعد (لمَّا) في الاستعمال، واستعملت في المشكوك في حصوله، وكان لها دورٌ في إحكام بنية النص وترابطها، كما استُعمل من أدوات الشرط للربط (لو – مَنْ – ما – أمَّا – لولا – إذا)، فكان الترابط الدلالي على مستوى العلاقات العميقة واضحًا، بالإضافة إلى التلازم بين المستويات السطحية الشرط وجوابه، والتي تجعل من التركيب تركيبًا واحدًا، يعمل على توسيع النص وبالتالي ترابطه وتماسكه.

الشكر والتقدير: يجب الاعتراف بمصدر الدعم المالي (إن وُجد)، وعلى المؤلِّفين أن يعلنوا عن أي دعم مالي أو علاقات قد تشكل تضاربًا في المصالح في الإقرار المقدَّم مع المخطوطة، كما يمكن الاعتراف بالمساعدة الفنية.

الأخلاقيات البحثية: يجب على المؤلفين معالجة أيَّة قضايا أخلاقية قد تنشأ بعد نشر هذه المخطوطة.

ازدواجية الاهتمام: يعلن المؤلفون أنه ليس لديهم / لديهم ازدواجية في الاهتمام مرتبطة بهذه المخطوطة.

مساهمات المؤلف: على سبيل المثال، طور المؤلف الأول الثاني النظرية، وأجرى الحسابات التحليلية وتمثيلها وساهم كل من المؤلفين الاول والثاني والثالث في النسخة النهائية من المخطوطة.

التمويل: يشير بيان التمويل إلى ما إذا كان المؤلفون قد تلقوا تمويلا (دعما ماليا مؤسسيا و / أو خاصا) للعمل المشار اليه في مخطوطتهم أم لا.

الهوامش:

[1] - البرهان في علوم القرآن 370/2.
[2]
[3] - سورة يوسف دراسة تحليلية، ص45.
[4] - معجم مقاييس اللغة 478/2.
[5] - لسان العرب 4/ 40، وينظر تاج العروس 19/ 298.
[6] - اللغة العربية معناها ومبناها، ص213.
[7] - نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 143- 144.
[8] - المعجم الوسيط 10/1.
[9] - مختار الصحاح، ص50.
[10] - معجم المصطلحات النحوية والصرفية، ص 10.
[11] - اللغة العربية معناها ومبناها، ص 123.
[12] - النحو الشافي، ص22.
[13] - اللغة العربية معناها ومبناها، ص 123.
[14] - لسان العرب، 79/5.
[15] - شرح المفصل، 41/7.
[16] - المقتضب، 46/2.
[17] - شرح الحدود في النحو، ص 275.
[18] - شرح التسهيل، 437/3.
[19] - في النحو العربي نقد وتوجيه، ص 286.

[20] - شرح المفصل، 156/8.
[21] - البحث النحوي عند الأصوليين، ص 257.
[22] - ينظر رصف المباني، ص 353- 354، المغني، ص 280، كفاية المعاني في حروف المعاني، ص216.
[23] - الأصول في النحو، 158/2.
[24] - الكتاب، 234/4.
[25] - الطراز، 2/ 45.
[26] - الربط في اللفظ والمعنى، ص 122.
[27] - الجنى الداني، ص 163.
[28] - ينظر المغني، ص 168.
[29] - ينظر السابق، ص 34.
[30] - المثل السائر، 13/3
[31] - ينظر إعراب القرآن الكريم، 4/ 43- 44.
[32] - ينظر الكتاب، 555/1، المقتضب، 49/1، الجنى الداني، ص 82، المغني، ص 22.
[33] - تأملات بيانية في ثلاث سور قرآنية، ص 6.
[34] - ينظر نظرية علم النص، ص 87،
[35] - التحرير والتنوير 3/ 306.
[36] - أسرار النحو، ص 305.
[37] - دلائل الإعجاز، ص 214.
[38] - إعراب القرآن الكريم، 521/3.
[39] - ينظر نحو القرآن، ص 96- 99.
[40] - ينظر النحو الوافي، 4/ 414- 415.
[41] - التبيان، 2/ 33.
[42] - ينظر المقتضب 3/ 75، شرح المفصل 9/ 10، الجنى الداني ص 108، المغني ص255، رصف المباني ص 358.
[43] -
[44] - التحرير والتنوير 236/13.
[45] - التحرير والتنوير 12/ 237.
[46] - إعراب القرآن وبيانه 510/3.
[47] -التحرير والتنوير 13/ 61.
[48] - ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه 4/ 47.
[49] - المغني، ص 272.
[50] شرح المفصل 24/9.
[51] البحر المحيط 295/5.
[52] التفنيد: نسبة إلى الفند وهو الخرف وإنكار العق من هرم، يقال شيخ مفند، ولا يقال عجوز مفندة.
[53] - المغني ص 56.
[54] - أسرار النحو، ص 308.
[55] -إعراب القرآن وبيانه 546/3.
[56] - يُنظر الجنى الداني، ص 367.
[57] - ينظر الجنى الداني، ص 371- 372.

المصادر والمراجع:

- أسرار النحو، ابن كمال باشا (شمس الدين أحمد بن سليمان ت 940هـ)، تحقيق: أ.د أحمد حسن حامد، دار الفكر والنشر والتوزيع، ط2، 2002م.
- الأصول في النحو، ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل النحوي البغدادي ت 316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1988م.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، دار ابن كثير/ دمشق، بيروت، ط 6، 1999م.
- البحث النحوي عند الأصوليين، مصطفى جمال الدين، دار الهجرة/ إيران، ط 2، 1405هـ.
- البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي (محمد بن يوسف ت 745هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوّض، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط 2، 2007م.
- البرهان في علوم القرآن، الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله ت 794هـ)، دار الفكر/ بيروت، 2005م.
- تأملات بيانية في ثلاث سور قرآنية، يوسف– الكهف– الأحزاب، د. صالح روبين إندي، دار الياقوت للطباعة والنشر، 1435هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي (أبو الفيض محمد بن محمد مرتضى ت 1205هـ)، دار الفكر، ط2، 1987م.
- التبيان في إعراب القرآن، العكبري (أبو البقاء عبد الله بن الحسين ت 616هـ)، دار الفكر/ بيروت، 2005م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي (الحسن بن قاسم ت 755هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط1، 1992م.
- دلائل الإعجاز، الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ت 474هـ)، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي/ القاهرة، ط5، 2004م.
- الربط في اللفظ والمعنى، تأصيل وتطبيق في ضوء علم اللغة النصي، د. محمود عكاشة، الأكاديمية الحديثة، للكتاب الجامعي/ القاهرة، ط1، 2010م.

- رصف المباني في شرح حروف المعاني، المالقي (أحمد بن عبد النور ت 702هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم/ دمشق، ط 3، 2002م.
- سورة يوسف دراسة تحليلية، د. أحمد إسماعيل نوفل، دار النوفل، ط1، 1989م.
- شرح التسهيل، ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبدالله ت 672هـ)، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد علي، المكتبة التوفيقية/ القاهرة، ب ت.
- شرح الحدود في النحو، الفاكهي (عبد الله بن أحمد النحوي المكي ت 899– 970هـ)، تحقيق: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة/ القاهرة، ط1، 1988م.
- شرح المفصل، ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي ت 643هـ)، مكتبة المتنبي/ القاهرة، ب ت.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ةالعلوي (المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي الحسيني ت 749هـ)، مطبعة المقتطف/ مصر، 1914.
- في النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي مخزومي، دار الرائد العربي/ بيروت، ط 2، 1986م.
- الكتاب، سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب، 1975م.
- كفاية المعاني في حروف المعاني، البيْتوشي (عبد الله الكردي ت 1221هـ)، تحقيق: شفيع برهاني، دار اقرأ/ دمشق، ط 1، 2005م.
- لسان العرب، ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ت 711هـ)، دار الحديث/ القاهرة، 2003م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب/ القاهرة، ط 5، 2006م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن محمد ت 637هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر/ القاهرة ب ت.
- مختار الصحاح، الرازي (محمد بن أبي بكر عبد القادر الحنفي ت 660هـ)، مكتبة لبنان للنشر، 1986م.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير نجيب اللبدي، دار الفرقان، ط 1، 1985م.
- المعجم الوسيط، لنخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مجمع اللغة العربية/ القاهرة، ط 2، 1972م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ت 761هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الشام للتراث، ب ت.

- مقاييس اللغة، ابن فارس (أبو الحسين أحمد ابن فارس ابن زكريا ت 395هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م.
- المقتضب، المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت 285هـ)، عالم الكتب/ بيروت، ب ت.
- النحو الشافي، محمود حسني مغالسة، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1997م.
- نحو القرآن، أحمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي/ بغداد، 1974م.
- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف/ مصر، ط 3، 1974م.
- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، مصر، ط 1، 1997م.
- نظرية علم النص، د. حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب/ القاهرة، ط1، 2007م.